A(ulo) Tul[i]o [1] Maximo, [q]ui vixit annis [L]XXX [2] Tu[l]i(i) Sacerd[os] et Ja[nuar]ius [3]

وتعريب الكتابة كما يلي:

(نصب هذا الاثرَ) لاولوس توليوس مكسيموس الذي عاش ثمانين سنة (ولداه) ساكردوس ويانواريوس (ابنا) توليوس»

فيكون الضريح مقاماً من ولدين من اسرة تدعى توليوس (و Tullii جمع Tullius) اسمهما ساكردوس (ومعناه كاهن) ويانواريوس لايهما اولوس توليوس الملقَّب بمكسيموس الذي توفّي في الثمانين من عمره

واهمُّ ما في هذه الكتابة اسم أُسرة توليوس وهو شبيه باسم اسرة الخطيب الروماني الشهير شيشرون. واسم توليوس ورد في كتابات قليلة ولم يُرَ حتى الآن في الكتابات اللاتينيَّة المكتشفة في سوريَّة. وسأعود ان شاء الله الى ذكر هذه الكتابة عند ما تسمح لي الفرصة لمعاينتها. واكتفي اليوم بتكرار عبارات الشكر لجناب ميخائيل افندي الوف على استلفات انظارنا الى هذا الاثر

بحث في لغات الحبشة

بقلم جناب عبدالله افندي ميخائيل رعد الصيدلي القانوني في بلاد الحبشة

٣ اللغة الاحمرية (تتمَّة لما سبق)

﴿ اصلها ﴾ قلنا ان الاحمرية قد تغلَّبت على الكيز مصدرها في القرن الثالث عشر فامتدَّت امتدادًا عظيمًا لان الملك والحكومة اتخذاها كلغة رسمية ولذلك يدعوها

---

١) لا يمكننا ان نحكم حكمًا باتًّا في هذا العَلَم أهو في الاصل بلامين Tullio (سطر ١) و Tullii (سطر ٤) او بلام واحدة وعلى كلّ حال فان هذا العلم قد ورد في الكتابات القديمة على الصورتين

٢) في النسخة المرسلة لنا IXXX لكنَّنا نظنّ ان الحرف الاوَّل هو L وانما وقع منهُ ذنَبهُ الاسفل اما بالكسر واما بمواراة الملاط والكلس لهُ. ولذلك اصلحنا ايضًا بعض حروف كحرف Q بدلًا من O وحرف P بدلًا من R

٣) هذا الاسم انسب ما يُعاد الى اصل الكلمة لِلحم اوَّلها مع آخرها

بعضهم «لسانا نگوس» اي لغة النجاشي او اللغة الملكية وقد اصبحت اليوم عامّة فانها تمتد من مستعمرة الاريتره حتى داخل بلاد البورانا اي من الدرجة ١٤° من العرض الشمالي الى الدرجة ٣° من العرض الجنوبي ومن النيل الابيض الى البحر الهندي

دُعيت هذه اللغة احرية او أمارينًا نسبة الى كلمة احرة التي يلقّب بها النصارى الاحباش انفسهم. وهي من جملة اللغات السامية لكنها تختصّ كما اشرنا سابقًا بالفرع المدعو السابيّ ويقال لهُ ايضًا الكوشي او اليقطاني (Joktanide) ويمتاز هذا الفرع عن سواه من اللغات السامية بخصائص جمة اخصها استعمال الافعال المساعدة (verbes auxiliaires) في تصريف افعالها كما يُرى ذلك في تصريف الافعال الاحرية. وقد ذكرنا آنفًا ان هذه اللغة تشتق من لغة الكعيز وتكتب بنفس احرف هذه الاخيرة وان مصدر هذه وتلك انما هي الحميريّة

فلننظر الى المسألة نظرًا ولو سطحيًا لتتضح لنا الحقيقة

يرينا التاريخ ان الحبشة تقلّبت في الاعصر السالفة تقلّبات عديدة من جهة السكان ولغاتهم. ففي البدء لم يكن اثرٌ للانسان في جبال الحبشة واعاليها لانها كانت قحطة قبل التقلبات البركانية وانما وديانها والجهات المنخفضة منها كان يسكن بها عبيد سودانيون لم تزل آثارهم في القبيلة المدعوة قبيلة الوايتو (Waytou) الساكنة اليوم جهات انكاثا ودمبايا وهؤلاء من ذريّة العبيد الذين حاربهم الفراعنة وجاء ذكرهم بذلك في التاريخ تحت اسم ثاوكسيتو (Waoxaytou) ثم جاء بعد هؤلاء العبيد قبائل مختلفة سبقت بني سام (Pré—sémites) او بربر وهم الكوش والاكاوس والحمير والبوغوس والشاهو وهؤلاء سكنوا رويدًا رويدًا جبال الحبشة بعد التقلبات البركانية التي اصلحتها ولم تزل ذريتهم باقية الى اليوم في قبائل السيدامو والولامو الذين اتينا على ذكرهم في المشرق (٧: ٢٥٣ و٢٥٤). واخيرًا سكن الحبشة الساميون الهكسوس (Sémites—Hyksos) وهم مصريون وفينيقيون ويهود اتوا هذه الاقطار كتجار ورسل اديان ورسل سياسيين وهاربين وغير ذلك فطابت لبعضهم الارض فسكنوها ثم لحق بهم الحميريون وهم العدد الاكثر الذين ملأوا البلاد فاصبحت الحبشة مختلطة من اجناس كثيرة كلهم من اصل سامي. فينتج لنا اذًا ان اللغة الاحرية انما هي سامية الاصل لا محالة

﴿ حروف هجائها ﴾ في الاحرية ثلاثة وثلاثون حرفاً للهجاء بسيطة وكل حرف منها يُلفظ على سبعة انواع يفرق بينها نقط وحركات واذناب مختلفة. وزد على ذلك عشرين اجتماع لحرفين متلاصقين يعطيان سوية صوتاً ممتزجاً نظير الحروف المركبة (diphtongues) بالافرنسية. فيكون اذاً مجموع حروف هجاء اللغة الاحرية بانواعها مائتين وواحداً وخمسين حرفاً فتأمل

﴿ قواعدها ﴾ سبعة اجيال مضت منذ ان اتسع نطاق هذه اللغة ولم يضع حبشي كتاباً في اصول لغته ولم يشاهد في مدارس الاحباش (ان صح ان ندعوها مدارس) الّا مخطوطات متبعثرة تعبث بها ايدي الضياع وتلقيها حيث شاءت من الاهواء. امّا الدروس فتُلقى كلّها بشفاهية والتلميذ يحفظها عن ظهر قلبه ولا كتاب بيده ولا ورقة فلذلك ندر في الحبشة من يعرف القراءة والذين يحسنون الكتابة يُعدّون على الاصابع

امّا هذه اللغة فهي بذاتها لغة جميلة قواعدها جلية نادرة الشذوذ واصولها لها اشتقاقات عديدة تمكن المتكلّم من اظهار فكره كيفما شاء. وهي قادرة ان تُصوّر اسماء جديدة . وبناء على هذه الاشتقاقات يجعل الاحباش كل يوم كلمات جديدة لكل ما يأتيهم من الآلات وما يشاهدون من الاشياء الواردة اليهم من اوربّة ومصر. اما هذه الاسماء الجديدة فانهم يصدرونها من نفس اللغة بدون ان يضطرّوا لتركيب الكلمات من لغات ثانية كما يفعل الاوروبيون عندما يركبون كلمات حديثة فانهم يستعيرون الجذور من اليونانية واللاتينية والانكليزيّة وغير ذلك فيجعلونها كلمة جديدة في الايطالية مثلاً او في الافرنسية . واعلم انهُ يصعب جداً على الاجنبي المتعلم هذه اللغة ان يوضح افكاره للحبشي بنوع جليّ لان الاحباش يستعملون كلهم على اختلاف مواطنهم ذات العبارات ونفس الكلمات لايضاح افكارهم فينبغي على من يتعلم هذه اللغة ممارسة طويلة ومخالطة قريبة بين الاحباش ليبرز عن خفايا قلبه بطريقة مفهومة منهم. فالاحرية من هذا القبيل تختلف جداً عن اللغة العربية لان الاجنبي اذا تعلم قليلاً من العربية يستطيع ان يُفهّم ويُفهم على قدر الحاجة في الحديث الاعتيادي من دون ان يتعلم الصرف والنحو وذلك صعب جداً بالحبشيّة دون معرفة اصول اللغة. ولعل كثرة تداخل الاجانب في هذه الايام يجعل الاحباش ان ينطوا لكلام الافرنج بالاحرية ولكن لا يكون ذلك الّا مع طول الزمان

امَّا التآليف الموضوعة في قواعد واصول هذه اللغة فهي من اقلام بعض المرسلين والسيَّاح المستشرقين الذين تعاطوا الرحلات العلميَّة وتداخلوا مع الاحباش فألَّفوا ما ألَّفوا في تعريف لغتهم . وهذا بعض ما اطَّلعتُ عليهِ :

اولًا : غراماطيق لودلف (Job Ludolf) الالماني (١ وهو اول غراماطيق في اللغة الحبشيَّة (٢ طبعهُ المؤلف في فرانكفورت سنة ١٦٩٨ وهو كتاب جزيل الفائدة وُضع بحسب اشارات احد الكهنة الاحباش يدعى ابَّا غريغوريوس يرينا اللغة الاحريَّة على حسب ما كان يتكلَّمها الاحباش في القرن السابع عشر ولكنهُ لا يمكن استعمالهُ اليوم لدرس هذه اللغة التي اصبحت في عهدنا غير ما كانت عليهِ في ذلك الوقت . فبقي الكتاب تاريخيًّا

ثانيًا : غراماطيق ايزمبرغ (Isenberg) المطبوع في لندن سنة ١٨٤٢ (٣ وهو تأليف نفيس بسيط المنهج وقريب المأخذ . لكنَّ العلماء المستشرقين يعيبونهُ بكونهِ يتَّبع في الغالب كيفيَّة لفظ وعوائد مقاطعتي الشوا وانكوجام دون غيرهما . ولهُ ايضًا معجم احري انكليزي وانكليزي احري طبع سنة ١٨٤١ في لندن

ثالثًا : غراماطيق الكردينال ماسايا طبع في باريس باللغة اللاتينيَّة سنة ١٨٧٦ (٤

Grammatica linguæ amharicæ, quæ vernacula Habessinorum. (١ *Francfort*, 1698

٢) ليس غراماطيق لودلف اوَّل كتاب وضع في اصول اللغة الحبشيَّة وانما سبقهُ الى ذلك احد المرسلين اليسوعيين وهو الاب لويس دي ازيڤيدو (L. de Azivédo) الذي دخل الحبشة سنة ١٦٠٦ وتوفي سنة ١٦٣٦ ولهُ تآليف عديدة باللغة الحبشيَّة من جملتها اصول اللغة الاحريَّة كتبهُ باللغة البرتغالية ثمَّ نقَّحهُ وزاد فيهِ . وقد اشتهر كثيرون من اليسوعيين في التآليف الحبشيَّة منهم الاب مستويل دي اليدا المتوفَّى سنة ١٦٠٦ لهُ تاريخ موسَّع لبلاد الحبشة . والاب بلتزار تلَّس (B. Tellez) كتب تاريخًا آخر هو احسن ما كُتب في ذلك وتوفي سنة ١٦٧٥ . ودخل الحبشة قبل لودلف الابوان جيروم لوبو (J. Lobo) وبطرس پايز (P. Paëz) في النصف الاول من القرن السابع عشر وطافا بلاد الحبش واكتشفا ينابيع النيل وكتبا في ذلك مقالات عجيبة ومات الاب پايز في جرجرَة سنة ١٦٢٢ امَّا لوبو فرجع الى اوربَّة ومات سنة ١٦٧٨ (المشرق)

٣) Grammar of the amharic language. *London* 1842

٤) Lectiones grammaticales pro missionariis qui addiscere volunt linguam amharicam, quæ vulgaris est Habessiniæ, nec non et Oromonicam. *Paris* 1876

جمع المؤلف في هذا الكتاب قواعد الامحرية ولغة انكالًا ودعمهُ بكثير من الحواشي والحكايات والتواريخ والاستعلامات عن الحبشة كما كانت في ذلك العهد

رابعاً: كتاب بريتوريوس (Prætorius) المدرس في كلية برسلو (١ وهو تأليف جميل للمطالعة ويشقّ الذين درسوا اللغة الامحرية لكثرة ما فيهِ من الفوائد لكنهُ لا يصلح مطلقاً استعمالهُ للتعليم. اما اغلاط النسخ فيهِ فكثيرة لانَّ المؤلف تركهُ بين ايدي النسّاخ الاحباش (والله اعلم باهمال الاحباش عند ما يوكل اليهم عملٌ ما) ولم يلاحظهُ عند طبعهِ ولولا ذلك لكان كتابهُ هذا جاء بالفائدة المطلوبة وخصوصاً لو ان هذا العالم مكث مدَّة اطول في الحبشة وتضلَّع في اصطلاحات لغتها

خامساً كتاب السنيور غويدي (Ignazio Guidi) (٢ وهو مختصر الكتاب السابق وهذا القراماطيق جيد لكنَّ بعض العارفين يقولون انهُ غير كافٍ لمن يريد درس هذه اللغة

وفيما سوى هذه التآليف الخمسة لم يوجد من كتب قواعد اللغة الامحرية سوى معجم انطون دي ابادي (Antoine d'Abbadie) (٣ وهو كتاب نفيس غير ان منهج اللفظ فيهِ جعلهُ عديم الفائدة لمن تعلَّم هذه اللغة واعتاد على كيفية اللفظ ومما عليهِ فهو كتاب جزيل الاهميَّة لمن أخذ في تعليم الامحرية . ومفردات بلومهرت (Blumhart) ومخاطبات غزنيوس (Gesennius بالامحرية والالمانية والافرنسية (٤.

فكل هذه المؤلفات لما ناقصة مختلفة عن بعضها جوهريًّا او صعبة للأخذ كثيرة التلبُّك لا تفي ولا ببعض المقصود لان كلًّا من هؤلاء المؤلفين دعم قواعده على قواعد مقاطعة دون غيرها وقد اشرنا آنفاً ان عوائد المقاطعات تختلف كل الاختلاف بعضها عن بعض . اخيرًا طبع المسيو مندون (Mondon) مدرّس اللغة الامحرية حالًا في كلية اللغات

---

١) Die amharische Sprache

٢ Grammatica elementare della lingua amarinna

٣) Dictionnaire de la langue amarinna, Paris 1881

٤) ومن يستحقوا الذكر بتآليفهم في اللغة الحبشية الاستاذ ديلمان (A. Dilmann) له قراماطيق ومعجم ومنتخبات في الحبشية والالمانية جديرة بالثناء (المشرق)

الحبشة في باريس كتابهُ (١ فجاء هذا التأليف الجديد يفي ببعض المقصود وتداولتهُ الايدي . ثم اردفهُ بعد ذلك بغراماطيق (٢ كان قد كتبهُ في السنتين الاخيرتين من مكثهِ في الحبشة وقد صدَّره بمقدمة اهدى فيها كتابهُ هذا لجلالة الامبراطور منليك الثاني الذي يدعوه صديقهُ الحميم ويفتخر بكونهِ قدَّمهُ لهُ قبل ان يفرغهُ بقالب الطبع فاعجبهُ جدًا واصلح لهُ فيهِ بيدهِ بعض الاغلاط وحثَّهُ على طبعهِ ونشره والحقّ يقال ان غراماطيق المسيو موندون احسن جدًا من الكتب السابقة الذكر وهو الذي يعوّل عليهِ اليوم كل من شاء درس اللغة الاحرية غير انهُ مع ذلك ليس الضالَّة المنشودة في سهولة المأخذ والمنهج

﴿ آدابها ﴾ لا غنًى في آداب اللغة الاحرية لان قلَّ من كتب هذه اللغة . او بالاحرى ان آداب هذه اللغة لم تزل في حالة الطفوليَّة اذ ان النزر القليل من الاحباش هم الذين يفرقون بين الجمل اللطيفة الطلية وبين العبارات الخشنة اليابسة . وبالاجمال ان الاحباش عمومًا يكتبون بغاية الاختصار حتى يكادون لا يروق بينهم سوى الانشاء التلغرافي وهم يهزأون عادة بالجمل الطويلة والديباجات والتكلف وغير ذلك مما يتعشقهُ الشرقيون سواهم . ومن ذلك ينتج صعوبة غير اعتيادية للذين يُكلَّفون بترجمة المقاولات والمعاهدات السياسية ونحو ذلك . اما مقرّ اللغة ومعدن جمالها (كما يقول الاحباش) فكان في البدء في مدينة قندهار لانها كانت العاصمة لكن هذه البلدة اصبحت اليوم صغيرة بعد انتقال كرسي الملك الى آديس ابابا وانتقال مقرّ اللغة معهُ ومعنى قندهار في الاحريَّة الزهرة الجديدة يعيش اهلها فقراء بالقرب من اخربة تلك القصور القديمة الجميلة والكنائس الكبيرة والاديرة الفخيمة التي هدمها الدراويش في الحرب التي اثارها عليهم الامبراطور يوحنّس سلف النجاشي منليك وهلك فيها ولم يبقَ منها الَّا آثار الاخربة ينعي فوقها البوم

اما كتب هذه اللغة فما خلا كتب القواعد الآنفة الذكر وكتب الصلوات التي وضعها المرسلون الكاثوليك لا يُعرف منها سوى ترجمة الكتاب المقدَّس التي قام بها

(١ Manuel pratique de la langue abyssine amharique, *Paris, Imprimerie Nationale*

(٢ Grammaire élémentaire de la langue amharique

بالقاهرة في مبادئ القرن الماضي احد الاحباش المدعو « ابو رومي » تحت رعاية المسيو أسلان دي شرڤيل (M^r Asselin de Cherville) قنصل فرنسة فيها وهذه الترجمة أُفرغت بقالب الطبع في انكلترَّة غير ان بينها وبين النسخة الخطيَّة الاصليَّة شواذ كثيرة . وقد اعتنت ايضاً جمعيَّة انكليزيَّة (London Missionary Society) بترجمة الكتاب المقدَّس والزبور وبتنقيح بعض الكتب الليترجيَّة ولكنها ترجمت وتنقحت كما تشاء هي من الترجمة والتنقيح شأنها في ترجمة الكتب المقدَّسة لبقيَّة اللغات بادعاء تحسين اللغة وتسهيل المعنى وبئس الادعاء الواهن الدعائم . وفيما سوى الكتب الدينيَّة والطقسيَّة لا يُعرف من آداب اللغة الاحرية سوى بعض شذرات خطيَّة في التاريخ والترانيم والاغاني والحماسة وغير ذلك اكثرها استولى عليها التخان البريطاني والفرنسوي ولكن منها نسخ كثيرة في ادبرة الرسالة الكاثوليكيَّة كلها مترجمة الى الافرنسيَّة لسهولة الاطلاع عليها والحكم في غرابتها وانحطاطها

وسائلٍ يقول لي فما رأيك في هذه المخطوطات من جهة آداب اللغة ؟ اجيبهُ ببيت لجزوٍ لحضرة شاعر مدينتنا دمشق (وهو ذو العزَّة صاحب سحر هاروت وبدائع ماروت وفي شهرته غنى عن ذكر اسمه) انها كلها :

كلماتٌ دون طعمٍ هي للسمع اذيَّه

غير ان لنا بهمَّة حضرة الآباء المرسلين الكاثوليكيين الكبوشيين واللازريين ما يكفل لنا سدّ خلل هذه اللغة واحياءها في عهد قريب لانَّ الصلات التجاريَّة والسياسيَّة بين الحبشة وبقيَّة الدول المتمدنة تزداد كل يوم ويتَّسع نطاقها وقد اصبح الاوربيون المقيمون في الحبشة بحاجة كلية لتعلّم هذه اللغة على اسلوب سهل المأخذ يكفل لهم سرعة حفظها مع عدم ضياع الوقت المكرَّس للاشتغال في الابحاث الطويلة فضلاً عن ان مدارس الرسالة نفسها هي بحاجة كليَّة لمثل هذه الكتب . ومَن غيرهم يقيناً بالمقصود ؟ وهم اكثر الناس هنا علماً ومعرفةً بعوائد الاحباش فقد قلَّبوهم البطن والظهر وتضلَّعوا بلغاتهم حتى تمكنوا من سهولة البشارة في جميع انحاء الحبشة على السواء وكل آتٍ قريب